Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم أفهم هذا، ولم كان ذلك؟[1].

كذلك رد على من زعم أن البلبل لا يقر له قرار أبداً، فقال: وزعموا أن البلبل لا يستقر أبداً، وهذا غلط؛ لأن البلبل إنما يقلق لأنه محصور في قفص، والذين عاينوا البلابل والعصافير في غير أوكارها وغير محصورة في الأقفاص، يعلمون فضل العصفور على البلبل في الحركة.

وهكذا كان الجاحظ يحقق ويدقق، ولا يقرر أمراً إلا إذا استقام على النظر أو أيدته المشاهدة. أهداه إلى ابن الزيات فكافأه بخمسة آلاف دينار..

(٢) كتاب البيان والتبيين.

هو كتاب الأدب، وديوان العرب، يعده ابن خلدون أحد كتب أربعة جامعة: (أدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والنوادر لأبي علي القالي، وهذا الكتاب..، ولا غرو فقد حشد عند كل مناسبة ما يتصل بها من مأثور القول شعراً ونثراً، آيات وأحاديث، وقصائد وأراجيز، وخطب ورسائل، وحكم وأمثال.

ويبدو أن لكنة الأعاجم ورطانتهم كانت تؤذيه، ومن ثم بدأ كتابه هذا متعوذاً من العي والحصر، وجعل ذلك مدخلاً للتغني ببلاغة العرب، وحضور بديهتم، وقدرتهم على المشافهة والارتجال، مستطيلاً بذلك كله على «الشعوبية» التي كانت تجرد العرب من كل فضيلة، حتى أنكرت عليهم «الخطابة» التي هي فيهم، ولا شك، طبع «وسليقة، ولم يفته في هذا المقام أن يعرج على خطابة زعيمه واصل بن عطاء، الذي مكنته مواهبه البيانية أن يتجنب «الراء» في خطبه الطويلة؛ لأنه كان ألثغ، وأردف ذلك بفصل طويل «لأحرف الهجاء» التي تدخلها اللثغة، وآخر «للبيان» وما ذكره بلغاء العرب والفرس والهند والروم في تعريف «البلاغة» وقد أشرنا إلى طرف من ذلك في المدخل[2].

---

(١) الحيوان جـ ٤/٧٦

(٢) انظر ص ٤، ٥، ٦ من الكتاب جـ ١ (ت: السندوبي).